أنساق استدعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في الشعر العربي الحديث ـ قراءة ثقافيَّة ـ

م.د نبأ باسم رشيد

dr.nababasim@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

Patterns of invoking Imam Hussein (peace be upon him) in modern Arabic poetry -A cultural reading-

Dr Nabaa Basim Rasheed

College of Arts / Al-Mustansiriya University

dr.nababasim@uomustansiriyah.edu.iq

Summary

Poetic invocation, particularly in the context of Imam Hussein, represents an enriching creative pattern that reveals the intellectual visions and creative energies of the poetic output, connecting it to both cultural and aesthetic dimensions. The contemplative tendency and cultural references appear in a state of constant fusion, aiming to demonstrate the thematic function within the poetic discourse. This relies on the presence of these invocations to create spaces for renewal, on the one hand, and to generate the mechanisms of the rhythmic pattern with its intellectual content, on the other. This study aims to investigate the invocation of Imam Hussein - peace be upon him - within the poetic text, examining its open features through implicit systemic meaning and tracing its cultural and social dimensions.

Keywords (cultural patterns, invocation, modern poetry, poetic content, Husseini poetry)

توطئة

يحتدم الخلاف حول النقد الثقافي بوصفه نشاطاً نقدياً يتطلع نحو كشف خبايا النص المسكوت عنها، ولا سيَّما ارتباطه بالممارسات الاستدعائية داخل القول الإبداعي ومدركاته المضمونية والجمالية في آن واحد. وقد جاء هذا البحث كمحاولة للبحث عن الأنساق المضمرة في بنية الخطاب الشعري العربي الحديث عبر الاتكاء على نسقية الاستدعاء الذي يتطلب تمحيصاً وتفكيكاً لمستويات الأداء الشعري، ولا سيَّما أنَّ القصيدة الحديثة تقوم على المفهوم التعددي للجوانب الاجتماعية والثقافيَّة والنفسيَّة، فظهر البحث اشتغالاً مضمونياً للنشاط النقدي الثقافي وتتبع العلاقة ما بين النص المعلن عنه والنص المسكوت عنه ليومئ بوجود معطيات مضمونية ترتبط بالإدراك الذهني للمبدع والمتلقي. إذ سار البحث بمهاد نظري للنقد الثقافي ومقارباته الإجرائية، ومن ثم الوقوف عند العلاقة بين الدال والمدلول التي تنتج الأنساق الما ورائية داخل الخطاب الشعري.

المهاد النظري

تمثل القراءة الثقافيَّة بمختلف مقارباتها وممارساتها التواصليَّة محاولة للكشف عن الرؤى والدلالات الرمزيَّة والنظام السيميائي في بنية الخطاب، الذي يتطلب تفكيك البنية الخطابيَّة واستقراء القراءة النصيَّة بمفهومها الشمولي، ولا سيَّما أنَّ «النقد الثقافي نشاطٌ وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته» (ايزابرجر، 2003، صفحة 30)، إذ تمثل ظاهرة الأنساق الثقافيَّة التي أفرزتها الحداثة تحطيماً للانغلاق النصي في الممارسات النقديَّة. ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ «جذور النقد الثقافي ليست حديثة الامتداد في ممارسته ليكون موازياً لفعالية أنواع النقود، ولا سيَّما الأدبيَّة والفكريَّة» (الشرع، 2007، صفحة 30)، كما أنَّ «الولادة الحقيقة لنوازع النظرية في النقد الثقافي كانت في العام 1964م، وهو العام الذي تأسس فيه مركز برمنكهام للدراسات المعاصر» (حداد، 2007، صفحة 36)، ذلك أنَّ النقد النسقي

بديناميته الفكريَّة وأطره الاجتماعيَّة يعدُّ محاولة لربط الأفكار بالمجتمع ومرجعياته الثقافيَّة ونتاج النسق المضمر الذي تكونه الثقافة.

إذْ تمثل ظاهرة الأنساق المضمرة في تجليها النسقي بوصفه عنصراً مركزياً في المعرفة والثقافة والمجتمع نظام مخاتلة، يرتكز عليها النص المسكوت عنه في استثمار الجمالي والمجازي لتمرير جدلياته ومخبوءاته التي لا تنكشف إلا بالقراءة الفاحصة (عليمات، 2015، صفحة 9). وبهذا يمكن أنْ تكون الدلالة الايحائيَّة في بنية النص كاشفة للمضمر الخطابي، الذي يميل على إيحاءات ورموز ذات كينونة لغويَّة، تختبئ في الخطاب الأدبي وأثره التعبيري، فضلاً عن أنَّ «التشابه بين مفاهيم اللغة الثقافيَّة والعلاقة السيميائيَّة يسمح لنا داخل سيميائيَّات الثقافة بأن نميز بين مقارنتين نموذجتين، ترتكز المقاربة الأولى على التمييز بين الأنساق المنمذجة الأوليَّة والأنساق المنمذجة الثانوية، فالأنساق الأولية هي اللغة باعتبارها الوسيلة الأولى للفكر والتواصل الإنساني، أما الأنساق المنمذجة الثانوية فهي اللغة باعتبارها خزاناً حافظاً للتجربة الجماعية الرمزية والثقافية العاكسة والدالة على إبداعيتها وإنتاجيتها» (بريمي، 2017، الصفحات 58-59).

ولا بُدّ من الوقوف عند المعنى الجمالي والمضموني للنصوص الإبداعيَّة، من خلال الوقوف عند « السؤال الذي يطرح نفسه: هل هناك نصٌّ يجمع بين جماليات الشكل والمضمون الذي اتفقت عليه الأنساق الثقافيَّة في الواقع العربي؟ وهل هناك قاعدة جماليَّة ثابتة، أو بعبارة أخرى هل الجمال نسق ثابت أم متحول؟» (ناهم، 2007، صفحة 38)، إذ يبدو أنَّ الجمال مرتبط بالتكوين الجزئي مع التلقي وقوالبه ومقاييسه من ناحية الانشغال بأمور مقاسة على النص الإبداعي وستراتيجياته التحديثية في إطار مفهوم أفق التوقعات .

وعليه يمكن القول: إنَّ مضمرات الخطاب الإبداعي وتمظهراته الإيمائية بسلطتها اللغوية تتراءى في النتاج الأدبي، وتتأثر بالفعل القرائي ومستوياته، استنادًا إلى الرؤى والمتبنيات الفكرية التي تتداخل مع المعطى المضموني وتومئ له، ممَّا يستدعي التمحيص

للبحث عن المسكوت عنه والانفتاح على المعنى الثقافي بوصفه نظامًا إشاريًا ينتج نتيجة نشاط العلائق الثقافيَّة داخل المتن الشعري وتقصي التجليات النفسيَّة والاجتماعيَّة، وبذا يغدو النقد الثقافيُّ أكثر فاعلية، وأكثر عمقاً في الوصول إلى الحقائق وكشف كينونتها العلائقية التي تتحقق بين النتاج الإبداعي والنص المسكوت عنه.

تجلياتُ الاستدعاء الحسينيِّ في النصِّ الشعريِّ

يمثل جانب استدعاء الشخصيات في النتاج الإبداعي مسرباً ينماز بالمزاوجة بين التصوير الفكري بدلالاته الإيحائية، وأفقه الجمالي، ممَّا يشكل كياناً علائقياً بين الجمالي والمرجعيَّة الثقافيَّة في الرفد الشعري، إذ «أصبح استخدام الشخصيات التراثية – على وجه الخصوص– من أهم سمات شعرنا المعاصر، وذلك لأنَّ شخصيات التراث هي الأصول التي استطاع من خلالها الشاعر أن يعبّر عن كل أتراحه وأفراحه» (زايد، 1981، صفحة 293)، ولا سيَّما التراث الديني، إذ شكَّل «التراث الدينيُّ في كل الصور ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري، حيثُ يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية» (زايد د.، 1997، صفحة 75)، مما يتيح للمبدع الاستغراق في السياق الاجتماعي، فضلاً عن استحضار الإسقاطات الذاتية في المتن النصي ومضمونه الإيحائي.

فالاستدعاء في الشعر يمثل نمطاً من أنماط الهيمنة على بينة النص الإبداعي عبر تقديم شخصيات يعكس من خلالها الشاعر التداعي النفسي، ويخلق جدلية المفارقة الفكرية بما تضفيه على النص من أبعاد جمالية وإثراءات دلالية تعتمد الاستعمال الرمزي لبلورة الحالة الشعورية.

إذْ إنَّ تأمل البنية النصيَّة بمضمونها الشعري يفسح المجال أمام تمظهر الخلق الجمالي وسياق تشكله الثقافي ومؤثره النفسي الفاعل داخل القصيدة، ويشير إلى نسق خطابي محمل بالمكامن الشعورية، ويسلط الضوء على المسربات السايكولوجيَّة وبواعثها التي تشكّل

الفعل الإبداعي بسمته الاستقرائية النسقية، وكثيراً ما يرتبط الجانب السايكولوجي بالجانب الإلهامي، إذ «تقرر السايكولوجية: بأنَّ الإلهام أو الإبداع، ينبثق عن اللاوعي، وهو نتيجة مكبوتات انفعاليَّة تظهر على السطح، عبر قناة إبداعيَّة ما» (علوش، 1985، صفحة 39)، ذلك أنَّ الاستحضار المقصود قد يرتبط بايديولوجيا قيم ثقافيَّة كبرى ينبري الخطاب الشعري لها، عبر الاستناد إلى رمزيَّة الاستدعاء الحسيني المرتبطة بالجانب العقائدي من جهة، وبالمعنى الإنساني من جهة أخرى، كما في قول الشاعر محمد بحر العلوم في قصيدة (ذكرى استشهاد الحسين) (العلوم، 1969، الصفحات 84-86)، بقوله:

يا خيرَ من وطأ الثرى من هاشمٍ ... بعدَ النبي وحيدرٍ والمجتبَى
وأعزَّ ليثٍ غالبٍ في غالبٍ ... وأذلَّ غالبٍ أنْ تُضامَ وتغلبا
تأبى المروءةُ أن تقطعكَ الظُّبى ... نهشاً، وسيفُ أبيكَ كانَ لها أبا
ما حالُ جدكَ لو رآكَ ولاحظتْ ... عيناهُ شيبكَ بالنَّجيعِ مخضباً؟
لتَلا بحقّك ألفَ ألفِ براءة ... من عصبةٍ وضعَتْكَ نَهباً للظُّبى

.....

أثبتَّ أنَّ الحرَّ يُدرك قصدَه ... حقاً إذا اتخذَ الحقيقةَ مَذْهبَا
وإذا الخطوبُ تصلَّبتْ في وجهه ... كانتْ عزيمتهُ أشدَّ تصلبا

نلحظ كيف يتبدى في النص المعنى الفعلي لنسق الارتباط العقائدي بمفهومه التأثري ذي البعد الاستجابي، فالاستدعاء الحسيني - هنا - لا يتشكل وفقاً لمعطيات شعورية فقط، بلْ هو مدرك حسي يتجلَّى بالاستنطاق السايكولوجي البعيد عن الجانب التخيلي وأبعاد التصوير الشعري، فبدا المضمر النسقي في نص الشاعر وهو يغوص دواخل النفس الإنسانيَّة، الذي يفضيه تتبع المسرى الزمني والمكاني والانتماء الجمعي، وهذا ما يفصح عن تشكُّل العلاقة الترابطية بين الموقف والتعبير عنه، إذ إنَّ عملية القراءة تعكس في النص دوافع سايكولوجية، فالعقائدية تظهر بالمدلول اللغوي للفظة في قوله: (هذي العقيدةُ والعقيدةُ قوَّةٌ ما أثقلَّ صارمُها الصقيلُ ولا نَبا)

ومن هذا المنطلق يتضح أنَّ الحالة الشعورية تمنح الرمزية التراجيدية عمقًا، يجسد مشاعر الانتماء الجمعي وذلك من خلال الاتكاء على نسق الاستحضار الحسيني، بوصفه شبكة علائقية تنسج بها نسق التمسك بالتراجيدي، وهذه مفارقة المفهوم التي ينطوي عليها النص الشعري، إذ لا نأي عن التمسك العقائدي والاستئثار بالتمسك، وجعل الاستدعاء الحسيني ملمحاً ايديولوجياً غايته البث الفكري الذي يتجه صوب التداولي وصولاً إلى الإقناع بالموقف الحسيني وقيمه العقائدية الإنسانية في الممارسة الإبداعيَّة.

ولعلَّ «كثيرًا ما ينتاب شاعرنا المعاصر نوع من الإحساس بالغربة في هذا العالم ناشئ عن شعوره بما يسود عالمنا من زيف ومن تعقيد وتصنع» (زايد ع.، 1981، صفحة 42)، وهو ما نجده عند الشاعر محمد الماغوط وهو يستدعي شخصية الإمام الحسين – عليه السلام – في خطابه الشعري، الذي يمكن الوصول إليه عبر ربط الأفق الجمالي بعملية الفعل القرائي وأفاقه الاجتماعية والثقافية، إذ يغدو النص كاشفاً عن مزاوجة رؤيوية بين ما هو مجال تخيلي، وما هو مضمر نسقي يتكئ فيه الشاعر على الجوانب الجماليَّة التي تنضوي على مدلولات تومئ للعلاقة بين التلقي والفعل الثقافي بمفهومه النسقي، كما في قوله (الماغوط، 2005، صفحة 199):

بردى ..

أيُّها الحسينُ المتناثرُ هنا وهناك

سأستردك من النوافير والصنابير والأقداح وقدور الحساء في المطابخ

ومطرات الجنود في المعارك

وغرف الإغماء والإنعاش في السجون والمستشفيات

لأرد لك اعتبارك على طريقتي

.....

ولن أحرمك من هذا الزهو أبداً....

ولكن كيف أمددك لتأخذ راحتك

تتجلى براعة النص الشعري في اعتماد الشاعر نسق المغايرة في الجانب الثقافي ولا سيَّما الديني وجعله كأداة لاستنطاق المعاني غير المألوفة للاستدعاء الحسيني، وكأنَّ الشاعر يرنو صوب تمرير مفهوم الاغتراب الروحي عبر خاصية (المسكوت عنه/ أو الرمز)، فهو يتجه للمعنى الأحادي للاستحضار الحسيني من جهة، والمعنى الشعري بالصورة المغايرة للنمط المألوف من جهة أخرى، فيقف عند الاسترداد من (النوافير، والصنابير، والاقداح..)، حيث المخاتلة بالاستحضار وهو ما يمكن الإشارة إليه بالحاجة إلى المعادل الموضوعي/ الرمز، الذي يعبر عن حالة الانفعال أو الشعور بالتبعية، وهو في الوقت نفسه استدعاء لنسق البحث عن الطمأنينة والسلام، من أجل حذو حذوه وتقوية النفس، وكأنَّ الاستدعاء الحسيني يعدُّ مثالاً للجمال المطلق في القوة والانتصار على الرغم من بوحية النص بالموقف التراجيدي، خروجاً من حالة اللاجدوى والضياع التي تظهر عند الشاعر في نتاجه الشعري، إذ يبحث عن المثال في الاستدعاء بطريقة شعرية ترفض الواقع وتحاول أن ترتكز إلى خلق صورة إنسان غير مهمش على العكس من الواقع المعاش.

أمَّا الشاعر أدونيس فإنه يلازم نسق وجداني يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجانب النفسي ومدلولاته الشعورية، ولا سيَّما في ثيمة تصوير التوتر القائم بين الذات والمجتمع من جهة، والذات ونوازعها السايكولوجية من جهة أخرى. حيث يوظف التراكيب اللغوية في بنية خطابه الشعري وهو يحملها بالإدراك الذهني الذي يشرك فيه المتلقي، وذلك استناداً إلى المفهوم الجمالي الذي يحاكي الجمالية، فيوازي في نصه بين التركيب اللغوي والباعث المضموني للنص الشعري، يقول في (مرآة الرأس) (أدونيس، 1996، الصفحات 393-394):

من أين، كيف، أين؟

- برأسه ...

- الحسينْ؟

ويلك يومَ الحشرْ

ويلك لن يجمعني طريقٌ أو حلمٌ أو نومْ
وحينما استقرَّتِ الرماحُ في حشاشةِ الحسينْ
وأزينتْ بجسدِ الحسينْ
وداستِ الخيولُ كلَّ نقطةٍ
في جسدِ الحسينْ،
واستُلبتْ وقُسمت ملابسُ الحسينْ،
رأيتُ كل حجَرٍ يحنو على الحسينْ
رأيت كل زهرةٍ تنامُ عندَ كتفِ الحسينْ
رأيت كل نهر
يسيرُ في جنازة الحسينْ،

إنَّ النصَّ يبتعد عن اللحظة الآنية عبر الاتكاء على نسق الاستدعاء الواعي لتشكيل علاقة رابطة بين الذات والجماعة، إذ إنَّ الشاعر يحاول أن يعيد إنتاج دلالة الوجود ويكسبه معنى مغايراً غير معناه العادي، ووسيلته في ذلك النفاذ إلى صميمه لاستقراء العلاقات التي تربط بين مكوناته المختلفة (زايد د.، عن بناء القصيدة الحديثة، 2002، صفحة 11)، فيحول الطقس الديني المرتبط بالواقع المكاني السايكولوجي وزحزحته المضمونية إلى نسق حضور، فهو ينظر «إلى الصورة الشعرية لا على أنَّها تمثل المكان المقيس بل المكان النفسي» (إسماعيل، صفحة 59)، يرنو في ذلك إلى جعل رمزية الاستحضار الحسيني معادلاً سايكولوجياً لنسق الحضور الدائم، فهو يمرر خطابه الشعري بوعي الارتباط الجمعي وليس الذاتي، بدلالة التداخل التخييلي لرمزية الطبيعة (الخيول، الحجر، الزهرة، النهر) الذي يمثل المنحى الجمالي، فيكون وسيلة لإظهار نسقية الرمز لاستجلاء المسكوت عنه الذي بدا عبر توليد البعد الرمزي والنفسي الذي يحيل إلى الرؤية التعبيرية الجمعية، فهو يحاكي قصيدته بلغة التأثير الاستدعائي لرمزية الإمام الحسين (عليه السلام) على الكونية، جاعلاً دلالة

الرأس مكاناً سايكولوجياً معادلاً للزمنية دلالة على الخلود والبقاء، الذي يحفز حالة الانفعال للمعنى الضمني للقول الشعري، استناداً إلى المبدأ الجمالي في ذاتيته وموضوعيته، كون الرمز ذا معنى متفق عليه في الثقافة الجمعية من حيث دلالته العقائديَّة بمفهومها الكلي من جهة، ودلالة عنوان النص الشعري من جهة أخرى ليكون مرآة للانتماء النفسي والاستدعاء الحسيني هو إعادة توظيف الحدث التراجيدي وتحول اللغة إلى خطاب ثقافي لإدانة الظلم ضد الحق الحسيني. فيمكن الإشارة إلى أنَّ أدب القضية الحسينية هو أدب عالمي بدلالة الثقافة الجمعية وشيوعها، فالأدب العالمي « هو كل أدب خاص استطاع اختراق حدوده الجغرافية، والقومية، ليعانق رؤى إنسانيَّة، تتسم بالشموليَّة» (علوش، 1985، صفحة 33)، والشاعر يقف عند هذا الرمز الإنساني كقيمة أخلاقية عالية مرتبطة بالايديولوجيا الجمعية لبث الخطاب ورؤاه الجماليَّة المرتبطة بالتلقي.

إنَّ اللغة في حدودها التعبيرية تتضمن نظاماً إشارياً وثيق الصلة بالمنحى الرمزي الذي يفسح المجال أمام إمكانية تعدد المدلولات المضمونية المنعكسة في النتاج الإبداعي وبنيته الرمزية المرتبطة بالشعور من حيث إنتاج الرمز للمدلول، وهو ما يرتبط بإشعاع الكلمة الذي ينبع من القيمة اللفظية في ذاتها وفي سياقاتها المختلفة، وهو ما يثير تداعي اللغة الشعرية وتصفيتها من علاقتها المنطقية واقتناء كل إيحاءاتها اللفظية والايقاعية، والخوض في توسيع المدلول اللغوي مجازياً (أحمد، 1984، صفحة 123)، إذ إنَّ الخطاب الشعريَّ يعتمد الإيحاء عبر الاستناد إلى ملامح الاستدعاء، ويبدو أنَّ الشاعر محمد مهدي الجواهريَّ أطرَّ الفعل الشعريَّ بالوظيفة الإيمائية وأنساقها الرمزية والتشفيريَّة، كقوله في قصيدة (عاشوراء) (الجواهري، 2001، الصفحات 343-345):

هي النفس تأبى أن تذلَّ وتُقهَرا
ترَىَ الموتَ من صبرٍ على الضيم أيسَرا
وتختارُ محموداً من الذِكرِ خالداً

على العيش مذمومَ المغبَة مُنكَرا
مشى ابنُ عليٍ مِشيةَ الليث مُخدِراً
تحدَّته في الغاب الذئابُ فاصحَرا

....

لزُعزِع يومُ الطف عن مُستقَرِّه
وغُيِّرَ من تاريخه فتَطَوَّرا

إنَّ الاستغراق في المكنون الشعري والاستذكار الحسيني وتحويله إلى استدعاء تاريخي بطولي يصور الواقعة بإبراز القوة ضد الذل والباطل، هو معادل موضوعي لإيجاد صورة المثال أو الرمز الذي يجسد المعنى الإنساني، فالاستدعاء الحسيني يرتبط بالرمز الإنساني، ولا شكَّ أنَّ بنية اللغة تحيل إلى الممارسة الشعرية في بنيتها المضمونية، ولا سيَّما الدينية التي تظهر الأنساق المضمرة في سياقها الاجتماعي ومدلولاتها الثقافية كقيم كبرى ذات منحى جمعي في المدرك الذهني، إذ يرتكز الشاعر إلى استدعاء شخصية الإمام الحسين – عليه السلام – بالشعر الرثائي بسياقه الثقافي، وينظر له على أنَّه أيقونة ثقافيَّة ذات حضور شمولي كلي في السياق العقائدي، وهذا ما يمنح المضمون الشعري بدلالته النسقية ايديولوجيا ذات حضور عقائدي، فهو يجعل من مفهوم الإيمان بها مبدأ ثورياً لا مجرَّد معنى للتوظيف الحضوري للشخصية، وهذا ما يصنع ايديولوجيا ذات موقف تشاركي مع المتلقي، إذ لا يكتفي بالتصوير بل يدعو إلى تبني الموقف، إذ يظهر النص المسكوت عنه في الارتباط بالقيمة العليا للرمز الحسيني والاحتذاء بها، ولعلَّ ختام النص الشعري يومئ بتكرار الجمالية التي تعطي للمتلقي جواً آخر بالتشاركية، بقوله (الجواهري، 2001، صفحة 345):

أقـــول لأقـــوامٍ مـــضّـــوا فـــي مُـصـابـه
يـسـومـونـه الـتـحـريـفَ حـتـى تـغـيَّـرا

دعـــوا رَوعـــةَ الـتـاريـخ تـأخـذْ مَـحَـلَّـهـا
ولا تـجـهـدوا آيـاتِـه أن تُـحـوَّرا
وخـلـوا لـسـانَ الـدهـر يـنـطـقْ فـإنّـه
بـلـيـغٌ إذا مـا حـاولَ الـنـطـقَ عَـبَّـرا

لأنَّ الوعي الشعريَّ يرتبط بالإدراك الذي يسهم في اكتناز النتاج الإبداعي بالمسكوت عنه، من حيث إنَّ «النص الشعريَّ كلٌ مركب، فهو مرآة العالم تعكس فيه الموجودات والأفكار والجمال على شكل رموز وشفرات» (الماجدي، 2004، صفحة 288)، فالرمز – هنا– مرتبط بموقف بطولي وتعزيز هوية الانتماء العقائدي.

كما تمثل أيقونة (عتبة النص) ممارسة ثقافية جمالية تكشف عن النواحي الاجتماعية والنفسية، إذ تلتقط القيمة الايحائية لبلورة المعنى المسكوت عنه في النص الشعري وما يرافقه من انحيازات لجوانب شعورية مختزلة للمعنى الدلالي في بعده الخطابي المنتج لفاعلية الخطاب الإبداعي وتمظهراته التي يؤسس عبرها لنسق ثقافي مضمر داخل النسيج الشعري. فيبدو الشاعر عبد الرحمن الشرقاوي في تصويره للأبعاد الشعرية المسرحية (الحسين ثائراً، الحسين شهيداً)، (الشرقاوي) وهو يؤسس لعبة نصية في العنوانات وما يكمن في سياقاته الثقافية من تناسبية بين المرجعيَّات الفكرية وحضور الاستدعاء الحسيني للشخوص وما يلازمها من استقراء محمل بالرموز والإشارية في نظام اللغة وماهيتها الأدبية. ولعلَّ ذلك متأتٍ من منطلق أنَّ «الأثر الأدبي تعبير عن رؤية العالم، عن وجهة نظر في مجموع الواقع، وهذه الرؤية أو هذه الوجهة ليست حادثاً فردياً وإنَّما هي حادث اجتماعي، هي مذهب فكري يفرض نفسه في بعض الظروف على جماعة من الناس» (الدروبي، صفحة 94)، إذ إنَّ العنوان يمثل جانباً سيميائياً يرتبط بالنظام الإشاري وبنية النص المضمونية، التي تحيل إلى المقصد الأدبي من جهة، والتكوين النسقي من جهة أخرى، بما يمنح السياق الاجتماعي والثقافي والديني من تمازج ما بين النص والانفعال الشعري، الذي يسقطه المبدع داخل البنية الشعرية، لأنَّ الإدراك الشعري يرتبط بالنوازع الذاتية

والمؤثرات الخارجية، فكان نسق الاتباع هو النسق الذي ينضوي تحته المعنى، بما يمكن تسميته بأنساق التجذر التي تتكون وفقاً لبنية المجتمع الفكرية، وينبري لها المبدع، إذ تحيل الأنساق المضمرة للاستدعاء الحسيني بمفهومه الرمزي رمزاً عالمياً للثورة، حيث الواقعة تشير إلى كربلاء(مكانياً)/ والحق ضد الباطل (موضوعياً)، إذن – هنا – يظهر النسق الاستعلائي للموقف الحسيني، وهذا ما يتمظهر بالعتبة النصية المشبعة بأنساق ثقافية (دينية، اجتماعية، تاريخية)، وهنا يظهر النسق الذي يحمل نسقاً ايديولوجياً متجاوزاً فكرة السردية التاريخية، ويدعو إلى التغيير والثورة ومثاله الرمزي الاستدعاء الحسيني عبر الاتكاء على اللغة وحوارها الملازم للفكر، لأنَّ «الأثر الأدبي، من حيث هو ايديولوجيا، ينتمي إلى البنية الفوقية الفكرية» (الدروبي، صفحة 94).

حيث إنَّ النصَّ الشعريَّ يحمل معنى مؤطراً للرؤية الشعريَّة وسياق نسجها تبعاً لمرجعيَّات ثقافية (دينية، اجتماعية، سياسية)، تمنح القول الشعريَّ معناه الجوهريَّ، ونسقه الخطابيَّ، الذي يعكس المتبنيات الفكريَّة، عبر اللغة ونظامها السيمولوجي، الذي يكسره الاستعمال الشعري ويزحزح دلالاته، والانفتاح على السياقات الاجتماعية، فيبدو الشاعر مصطفى جمال الدين مستدعيا للتراث الديني ورمزه الحسيني في قصيدة (الحسين) (الدين، 1995، الصفحات 505–508):

ذكراك، تنطفئ السنين وتغرب ... ولها على كف الخلود تلهب
لا الظلم يلوي من طماح ضرامها ... أبدا، ولا حقد الضمائر يحجب
ذكرى البطولة، ليلها كنهارها ... ضاح تؤج به الدماء وتلهب
ذكرى العقيدة ألم ينؤ متن لها ... بالحادثات، ولم يخنها منكب

...

لكنني أهوى الحسين، لأنه ... لساكنين طريق خير أرحب
وأحبه لعقيدة يفنى لها ... إن ديس جانبها، دين يغضب
ودم يريق، لأنه يغذو به ... جوع الضمائر، إذا تجف فتجذب

يظهر في النص نسق الاستدعاء الحسيني بوصفه بؤرة تجميعية للعودة إلى الماضي (واقعة الطف) وما يلازمها من موقف تراجيدي يرتبط بموضوع الثبات وتحقيق الظفر، ولعل الشاعر –هنا– يحاول أن يستدعي مثاله العقائدي في الخطاب الشعري، إذ يؤسس من خلال صياغة لغوية ذات نظام إشاري مرتبط بالسياق الثقافي لرؤية ذات كيان شعري يرتبط بالخطاب الايديولوجي، فيحول الشخصية من معناها التاريخي الديني إلى إيقونة ثقافية إنسانية متداولة على مر العصور تجسد الثبات والتضحية والعدالة، فالشاعر لا يقدم الإمام الحسين – عليه السلام – كفرد، بل هو يحاكي الوعي الجمعي بتقديمه شخصية تكون رمزاً للمقاومة والرفض الواضح لكل ظلم أو استهانة، فلا يكون منواله في الاستدعاء إظهار الحزن بقدر ما يتجه صوب تحميل النص بنسق ثقافي مرتبط بالجانب الديني، فيستدعي الواقعة بمفهومها المكاني والموضوعي تأسيساً للممارسة ثقافية تتمثل بالايدلوجيا وإسقاطاتها التوظيفية للرمز وآليات استدعائه داخل النص الأدبي.

الخاتمة ونتائج البحث

- تعدُّ ظاهرة الأنساق الثقافيَّة في الشعر ملمحاً أدبياً يرتبط بالنشاط النقدي عبر الغوص في مضمون النصوص الإبداعية وسياقاتها الاجتماعية والثقافية والعقائدية، ولا سيَّما موضوعة الاستدعاء الحسيني وما يلازمها من قدسية في الصدق العاطفي والاستحضار المثالي، إذ تتراءى المضمرات النسقية في النتاج الإبداعي من جانب استثمارها للجمالي والمجازي لتمرير المسكوت عنه.
- بروز النزعة الإنسانية المرتبطة بالجانب الرمزي عبر الاتكاء على اللغة ومحاكاة القيم الفكرية العليا في البنية الفكرية المتمثلة بشخصية الإمام الحسين – عليه السلام – .
- انعكاس بؤس الواقع الاجتماعي والسياسي على المتن الأدبي ولا سيَّما الشعري بالمعنى الداعي إلى مبدأ الثورية واتخاذ الرمز الحسيني مسرباً مضمونياً للتواشج بين الواقع والمفترض من ناحية المثال الوجودي.

مصادر البحث

1. أدونيس. **(1996)**. الأعمال الشعرية. سورية: دار المدى للثقافة والنشر.
2. ارثر ايزابرجر. **(2003)**. النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية (المجلد الاولى). (وفاء رمضان ورمضان بسطاويسي، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
3. خزعل الماجدي. **(2004)**. العقل الشعري- الكتاب الأول (المجلد الطبعة الأولى). العراق - بغداد: دار الشؤون الثقافيَّة العامة.
4. د. أحمد ناهم. (آب، **2007**). كرنفالية النقد الثقافي، الثقافة والدراسات الثقافية. مجلة ثقافتنا- مجلة فصلية ثقافية عامة / العدد الرابع .
5. د. سامي الدروبي. (بلا تاريخ). علم النفس والأدب، معرفة الإنسان بين بحوث علم النفس وبصيرة الأديب والفنان (المجلد الطبعة الثانية). دار الفكر.
6. د. سعيد علوش. **(1985)**. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. بريوت: دار الكتاب اللبناني.
7. د. عز الدين إسماعيل. (بلا تاريخ). التفسير النفسي للأدب (المجلد الطبعة الرابعة). مكتبة غريب.
8. د. علي حداد. (آب، **2007**). إشكالية التحول إلى النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي المعاصر. مجلة ثقافتنا العدد الرابع.
9. د. علي عشرى زايد. **(1997)**. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي.
10. د. علي عشرى زايد. **(2002)**. عن بناء القصيدة الحديثة (المجلد الطبعة الرابعة). القاهرة: مكتبة ابن سينا.
11. د. فائز الشرع. (آب، **2007**). النقد الثقافي وأنساق الحضارة المضمرة- قراءة في ممارسة نصية من التراث العربي. مجلة ثقافتنا- مجلة فصليَّة ثقافيَّة عامة العدد الرابع.
12. د. محمد فتوح أحمد. **(1984)**. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر (المجلد الطبعة الثالثة). القاهرة: دار المعارف.
13. عبد الرحمن الشرقاوي. (بلا تاريخ). الحسين ثائراً- شهيداً- مسرحيتان شعريتان. العصر الحديث للنشر والتوزيع.

14. عبد الله بريمي. (مارس، 2017). الكون السيميائي وتمثيل الثقافي- يوري لوتمان أنموذجاً. مجلة فصول العدد 99.

15. علي عشرى زايد. (ابريل، 1981). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. مجلة فصول.

16. محمد الماغوط. (2005). شرق عدن غرب الله. دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع.

17. محمد صالح بحر العلوم. (1969). ديوان بحر العلوم (المجلد الطبعة الأولى). بغداد: دار التضامن.

18. محمد مهدي الجواهري. (2001). الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد الثانية). العراق- بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر.

19. مصطفى جمال الدين. (1995). الديوان (المجلد الطبعة الأولى). بيروت: دار المؤرخ العربي.

20. يوسف محمود عليمات. (2015). النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي (المجلد الاولى). الاردن: الاهلية للنشر والتوزيع.

Research Sources

1. Abdel Rahman Al-Sharqawi. (n.d.). Al-Hussein: A Revolutionary and a Martyr - Two Poetic Plays. Modern Era for Publishing and Distribution.

2. Abdullah Barimi. (March 2017). The Semiotic Universe and Cultural Representation: Yuri Lotman as a Model. Fusul Magazine, Issue 99.

3. Adonis. (1996). Collected Poems. Syria: Dar Al-Mada for Culture and Publishing.

4. Ali Ashri Zayed. (April 1981). The Invocation of Heritage Figures in Contemporary Arabic Poetry. Fusul Magazine.

5. Arthur Isberger. (2003). Cultural Criticism: A Preliminary Introduction to Key Concepts (Volume 1). (Translators: Wafaa Ramadan and Ramadan Bastawisi). Cairo: Supreme Council of Culture.

6. Dr. Ahmed Nahem. (August 2007). The Carnival of Cultural Criticism, Culture and Cultural Studies. Thaqafatuna Magazine - A Quarterly General Cultural Magazine / Issue 4.

7. Dr. Ali Ashri Zayed. (1997). The Invocation of Heritage Figures in Contemporary Arab Poetry. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

8. Dr. Ali Ashri Zayed. (2002). On the Construction of the Modern Poem (Vol. 4, ed.). Cairo: Ibn Sina Library.

9. Dr. Ali Haddad. (August 2007). The Problematic Shift to Cultural Criticism in Contemporary Arab Critical Discourse. Thaqafatuna Magazine, Issue 4.

10. Dr. Ezz El-Din Ismail. (n.d.). The Psychological Interpretation of Literature (Vol. 4, ed.). Gharib Library.

11. Dr. Faiz Al-Shara. (August 2007). Cultural Criticism and Implicit Civilizational Patterns: A Reading of a Textual Practice from the Arab Heritage. Thaqafatuna Magazine, a general cultural quarterly, Issue 4.

12. Dr. Muhammad Fatouh Ahmed. (1984). Symbol and Symbolism in Contemporary Poetry (Vol. 3, ed.). Cairo: Dar Al-Maaref.

13. Dr. Saeed Alloush. (1985). Dictionary of Contemporary Literary Terms. Beirut: Lebanese Book House.

14. Dr. Sami Al-Durubi. (n.d.). Psychology and Literature: Human Knowledge Between Psychological Research and the Insight of the Writer and Artist (Volume 2, Second Edition). Dar Al-Fikr.

15. Khazal Al-Majidi. (2004). The Poetic Mind - Book One (Volume 1, First Edition). Iraq - Baghdad: General Cultural Affairs House.

16. Muhammad al-Maghout. (2005). East of Eden, West of God. Dar al-Mada for Printing, Publishing and Distribution.

17. Muhammad Mahdi al-Jawahiri. (2001). Complete Poetic Works (Volume Two). Iraq-Baghdad: Dar al-Hurriya for Printing and Publishing.

18. Muhammad Salih Bahr al-Ulum. (1969). Diwan Bahr al-Ulum (Volume, First Edition). Baghdad: Dar al-Tadhamun.

19. Mustafa Jamal al-Din. (1995). Diwan (Volume, First Edition). Beirut: Dar al-Mu'arrikh al-Arabi.

20. Youssef Mahmoud Alimat. (2015). Systemic Criticism: System Representations in Pre-Islamic Poetry (Volume One). Jordan: Al-Ahliya for Publishing and Distribution.

أنساق استدعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في الشعر العربي الحديث - قراءة ثقافيَّة -

المستخلص

يمثل الاستدعاء الشعري ولا سيَّما الحسيني نمطاً إبداعياً إثرائياً يفضي إلى الكشف عن الرؤى الفكريَّة والطاقات الإبداعية للنتاج الشعري وارتباطه بالملمح الثقافي والجمالي في آن واحد، فتبدو النزعة التأملية والمرجعيَّات الثقافيَّة في حالة تلاحم دائم، بغية إظهار التوظيف المضموني داخل البنية الخطابية للشعر، والاستناد إلى معالم حضورية تتمثل بالاستدعاء من أجل خلق مساحات تجديدية من جهة، وإنتاج آليات النمط الإيقاعي بمضمونه الفكري من جهة أخرى. إذ تهدف هذه الدراسة إلى تقصي الشعر الاستدعائي لشخصية الإمام الحسين – عليه السلام – داخل المتن الشعري وتكوين ملامحه الانفتاحية بالمضمر النسقي وتتبع أبعاده الثقافيَّة والاجتماعيَّة.

الكلمات المفتاحية: الأنساق الثقافيَّة، الاستدعاء، الشعر الحديث، المضمون الشعري، الشعر الحسيني.